مجلة العلوم وآفاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

التعليم والمنشآت التعليمية خلال الفترة الرومانية (مقاطعة نوميديا مجال جغرافي للدراسة)

Education and educational buildings during the Roman period (the region of Numidia a geographical area of study)

خادري مبروك[1]*

https://orcid.org/0009-0008-7753-1818

[1] باحث في الآثار القديمة (ماستر آثار قديمة، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2 –)، الجزائر khadrikhadri4@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 17 /02 /2023	تاريخ القبول: 18/ 03 /2023	تاريخ النشر: 04/01 /2023

*خادري مبروك

الملخص:

تهتم الدراسة بموضوع التعليم خلال الفترة الرومانية، حيث تم التطرق الى الموضوع بشكل عام بما يحتويه من معلومات عن الجانب التعليمي في الفترة الرومانية ، ثم دراسة لمنطقة نوميديا بشكل خاص من مختلف الجوانب الأدبية و الأثرية، وقد تم التركيز على المنشآت التعليمية التي تعتبر أبرز إشكال في الموضوع، وفي المدن التي توفرت على بنايات من المحتمل ان تكون مدارس، حيث ثبت وجودها في المصادر الأدبية ونجد أبرز مثال على ذلك في مدينة مادور، كما توفرت إشارات لبنايات في مدينة كويكول أطلق عليها تسمية schola في ضل غياب اي نماذج اللمدارس الرومانية، وعدم وجود اي مؤشرات تؤكد وجود مدارس في أي موقع روماني.

الكلمات المفتاحية: التعليم، المدارس، الرومان، نوميديا، كويكول، مادور.

Abstract :

The study is concerned with the subject of education during the Roman period, where the subject was addressed in general with the information it contained in Roman education, and then the study of the Numidia region in particular from various literary and archaeological aspects, and the focus was on educational facilities, which are the most prominent problems in the subject, where Its existence has been proven in literary sources, which is offset by the absence of evidence to prove it in the archaeological sites of the studied area.

Keywords: Education, schools, Romans, Numidia, Quikol, Madur

مقدّمة:

لطالما كان الجانب التعليمي والتثقيفي من بين الجوانب التي ميزت الانسان في مختلف الحقب الزمنية، منذ اكتشاف الكتابة التي كانت مرحلة دخول البشرية الى التاريخ، وصولا الى الحضارات القديمة أين ظهرت عدة لغات تعود لشعوب إنسانية مختلفة، كما تنوعت العلوم والمعارف والتي ظهر معها علماء مختصون كل في مجاله، ومع كل هذا أصبح من الواجب وجود مدارس تعليمية يتم فيها نقل هذه المعارف والعلوم الى الأجيال، وهو موضوع هذا المقال الذي من خلاله نعالج موضوع التعليم خلال الفترة الرومانية، من خلال تتبع مراحله و مجالاته و طريقة ممارسته، والاهم من كل هذا أماكن التعليم عند الرومان، حيث تم التطرق الى الموضوع بشكل عام، ثم تخصيص الدراسة في منطقة نوميديا، واختيارنا لهذا النطاق الجغرافي يعود لأسباب عديدة أهمها ثبوت وجود تعليم نظامي في المنطقة أدبيا، وغياب ما يؤكد ذلك بشكل واضح أثريا وابرز مثال على ذلك نجده في مدينة مادور، كما وجدت بنايات لم تحدد طبيعتها في بعض المواقع الأثرية و تم الاشارة اليها من قبل الباحثين بتسمية schola التي تشير إلى أكثر من معنى ومثال ذلك البنايات المدروسة على مستوى موقع كويكول، وقد نتساءل:

هل يمكن أن تكون أماكن التعليم غير خاصة، وكان يمارس في أماكن مختلفة، دون تخصيص بناية معينة لذلك؟،وفي حالة وجود أماكن مخصصة بمثابة مدارس، هل كان لهذه البنايات مخطط معين وثابت؟ أم أنها كانت تقام بشكل مختلف من مدرسة الى أخرى؟ وهل اجتماع مجموعة معينة في مكان مخصص لمناقشة أمور ثقافية أو أدبية يعتبر نشاطا تعليميا، وهل تعتبر مكانه مكانا خاص بالتعليم؟

تم الاعتماد على المنهج الوصفي فيما يخص الجانب الأثري، وهذا لحاجة الموضوع الى وصف مختلف البنايات و العناصر المادية الخاصة بالجانب التعليمي، ومنهج المقارنة في ابراز أهم النقاط التي تتشارك فيها المنطقة في موضوع التعليم خاصة فيما يخص المدارس كبنايات مع مواقع اخرى احتوت على دلائل مادية أكدت او قربت فكرة وجود تعليم نظامي فيها.

من خلال دراسة الموضوع بمختلف الاشارات الأدبية و الآثار المادية الموجودة، فإن وجود تعليم نظامي في العالم الروماني أمر مؤكد، اما المنشآت التعليمية فهي اشكال عام يخص تلك الفترة وفي مختلف المواقع الاثرية الرومانية، وهذا ما ينطبق على منطقة نوميديا، و يمكن من خلال الدراسة الشاملة للمنطقة وربط مختلف المعطيات المتوفرة أن نقرب فكرة وجود تعليم نظامي و بالمراحل والاساليب التي عُرف بها النظام التعليمي

الروماني، في حين تبقى المنشآت التعليمية على اختلافها سواء المدارس التي تخص التعليم الأولي او المراحل الأعلى منه غير مؤكد تواجدها في المواقع المدرسة.

يعتبر التعليم كموضوع بحث ذا اهمية بالغة، خاصة إذا ما ارتبط بمجال جغرافي مثل نوميديا، فالإنتاج الأدبي الغزير الذي كُتب بأيدي نوميدية تلقى اصحابها تعليمهم الأولي في المنطقة هو بمثابة الحافز للبحث بشكل أدق في الموضوع، خاصة إذا كانت اشكالية غياب المنشآت التعليمية عامة ولا تخص منطقة نوميديا فحسب.

المبحث الأول: التعليم عند الرومان

سيتم التطرق في هذا المبحث إلى التعليم خلال الفترة الرومانية، وعن النظام التعليمي المتبع ومراحله، وكذلك الأدوات والوسائل المستعملة، وأخيرا المنشآت التعليمية وابراز أهم المعطيات الأثرية الموجودة.

المطلب الأول: النظام التعليمي الروماني

عالجنا في هذا الجزء النظام التعليمي الروماني ومراحله من التعليم الأولي الى مرحلة التعليم العالي، كما تطرقنا الى اهم البرامج التعليمية المتبعة في كل مرحلة.

اعتبرت مهمة التعليم عند الرومان مهمة الآباء، فالمرأة تسهر على تربية أولادها الصغار وتعلم البنات الغزل والنسيج وإدارة شؤون المنزل، وما أن يكبر الأولاد حتى كان الأب يعلمهم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والألعاب الرياضية كما يعلمهم قواعد المحافظة على آداب السلوك وأساطير الأبطال وتاريخ الوطن الذين يعيشون فيه، وحتى يكتسبوا خبرة منذ صغرهم كان الأب يصطحب أولاده أثناء أدائه لواجباته اليومية، فكانوا يدربون عمليا على الزراعة ويتعرفون على أساليب الحياة العامة كتقديم القرابين وما شابه من طقوس دينية، وإتقان حفظ أيام الأعياد الرسمية والأيام التي يمكن العمل فيها، وأيام العطل التي يمنع العمل خلالها كي ال تغضب عليهم الآلهة أو الدولة، وكذلك الإجراءات التي تتبع في الجمعيات الشعبية عند الانتخابات أو اصدار التشريعات، واختصاصات الحكام على اختلاف درجاتهم، وعقود البيع والشراء وانتقال الملكية[1]، لذا فقد كان التعليم في القرون الأولى للجمهورية بدائي للغاية، يمنح بالدرجة الأولى للذكور، وكما تم ذكره سابقا عهدت مهمة التعليم لولي الطفل، لكن لم يعتمد الجميع على التعليم الأسري فحسب ، فقد اعتمد البعض على العبيد في تعليم أبنائهم بشكل خاص في المنزل، وهذا مرتبط بالجانب المادي ومن له القدرة على دفع نفقات تعليم أولاده بشكل خاص.

في نهاية القرن الثالث ق.م أصبحت العلاقة مع الثقافة اليونانية وثيقة بشكل متزايدقبل تلك الفترة لم يكن هناك اماكن مخصصة التعليم في روما ، حيث كان معظم الآباء المشغولين بالعمل أو النشاطات السياسية يعهدون بابنهم الى المدرسة ludus والتي كان بإمكان الجميع أن يصل اليها بشرط دفع الرسوم من قبل ولي الطفل، و لم تتدخل الدولة في العملية التعليمية الت ي كان ت تعتبر من وضائف الأسرة[2]بالنسبة للأطفال الذين ينتمون الى العائلات الغنية فإن إمكانياتهم المادية تسمح لهم بتلقي التعليم في فترة مبكرة والانتهاء في عمر متأخر، أما الفقراء منهم فال يستطيعون المكوث طويلا في دراسة نظامية وذلك لتخفيف تكاليف الدراسة من جهة ويتسنى لهم مساعدة آبائهم في أعمالهم من جهة أخرى، ولذلك ال ي تم ارسالهم الى المدرسة حتى يصبحوا في سن أكبر للتعلم والاستيعاب في وقت قصير[3] ولطالما ارتبط التعليم الروماني بالجانب المادي فالتعليم عامة سواء الخاص الذ ي يتلقاه الطفل في المنزل أو التعليم النظامي الي يكون في المدرسة مقصور على من لهم القدرة على تحمل نفقاته.

تم تقييم نظام المدارس الرومانية على ثالثة صفوف والتي يمكن مقارنتها بالنظام الحالي على التوالي الابتدائية، المتوسطة، الدراسات العليا، ولكل مرحلة تعليمية معلم خاص و نظام تعليمي مختلف، حيث يشرف على مرحلة التعليم الأولي معلم الكتابة و القراءة "ludi, ludi magisterأما المرحلة الثانية فيشرف عليها معلم البلاغة والنحو "grammaticus" وبالنسية لآخر مرحلة وهي مرحلة الدراسات العليا فتكون تحت اشراف معلم الخطابة و هي الدورة التخصصية الثالثة التي لا تحظى بشعبية كبيرة كالدورتين السابقتين يدرب فيها الشباب على البلاغة قبل دخولهم الحياة العامة.

المرحلة الابتدائية:

تعتبر المرحلة الابتدائية المرحلة التي يحظرها جميع الأطفال في سن السابعة من الطبقات الاجتماعية المتوسطة يتعلمون فيها القراءة و الكتابة و الحساب، و كما ذكرنا سابقا وجود العائلات الغنية التي توفر معلم خاص في المنزل و الذي يكون عبد مثقف يوناني عادة و يطلق عليه pédagogues يتابع الطفل حتى و لو كان يتلقى تعليما نظاميا في المدرسة، كما يجدر الاشارة الى الفرق بين المعلم litterarius الذي يكون سواء عبد أو من الأحرار و الذي يشرف على الأطفال في المدرسة و يتلقى أجرا على ذلك من قبل الأولياء و بين التربوي pédagogues الذي يكون عبد لرب الأسرة و يستغل للعناية بالطفل بما في ذ لك تعليمه

كانت طرق التدريس في التعليم الابتدائي تعتمد على الحفظ الميكانيكي أي على ترديد لا نهاية له مثال على ذلك " due et due sunt quattor و unum et unum sunt due" أي عمليات حسابية بسيطة و تكرارها، و هاذا ما ينطبق على الحروف و باقي عناصر التعليم في هذه المرحلة، وظلت هذه البرامج دون تغيير حتى القرن السادس ميلادي[4]، كما لم يكن للمرحلة التعليمية اختبارا نهائيا، فبمجرد اثبات التلميذ استيعابه لكل ما تعلمه انتقل الى المرحلة التالية، و قد شاع وجود قصور في النظام التعليمي الابتدائي الروماني و الذي ربما كان السبب في لجوء بعض الأولياء لتعليم أولادهم بشكل خاص في المنازل[5].

المرحلة المتوسطة:

بعد المرحلة الابتدائية ينتقل الطفل الى المرحلة المتوسطة التي تكون تحت اشراف معلم النحو " grammaticus "، تبدأ من سن الثانية عشر الى غاية السادسة عشر تقريبا، وغالبا ما يحظى بها الأطفال من الطبقات الغنية، حيث يتعلم فيها التلاميذ اللغة اللاتينية و اليونانية بالاعتماد على نصوص الشعر و مفاهيم عامة في التاريخ و الجغرافيا و علم الفلك و الأساطير، إلا أن هذه المرحلة تقوم بشكل أساسي على تدريس قواعد اللغة وفقا لمؤلفين كلاسيكيين مثل هوميروس Humérus و هيسيود ... بالنسبة الادب اليوناني، أما بالنسبة للأدب اللاتيني فنجد كيكيرون Cicero و فرجيل Vergil ما جعل نظام هذه المرحلة له جانبين :

يتمثل الجانب الأول في دراسة اللغة على حسب ما جاء في مؤلفات كبار الأدباء والثاني تمثل في شرح ما ورد في هذه المؤلفات وتكون العملية على أربعة مراحل كالتالي:

-القراءة lectio : والتي تضمنت تمارين في القراءة التعبيرية بصوت عالي حيث يتم فصل الكلمات والجمل المميزة في النصوص، مع تمارين حفظ أهم المقاطع وأفضلها واتقان قراءتها.

-التصحيح Emendatio و تكون بالاعتماد على نسخة تحتوي العديد من النسخ لنص واحد ومحاولة تصحيحها والخروج بالنص الأصح ثم مناقشة وانتقاد الأسلوب.

_ و التعليق enarratio : هو تفسير حرفي وأدبي أيضا ، والذي لا يتم إجراؤه على النص بشكل عام وانما اتباعه سطرا بسطر وكلمة بكلمة الى غاية انهائه .

-الحكم iudicium : وهو استنتاج للدراسة الأدبية للنص ، والنطق بالحكم النهائي على العمل المدروس.

تهدف هذه المدرسة النحوية إلى تطوير الثقافة العامة اللازمة لتعلم البالغة، والملاحظ هنا هو تهميش التخصصات العلمية نوعا ما وعدم اعطائها أهمية كبيرة وهذا ما يرجع الى الهدف من هذا التكوين حيث كان التعليم يهدف الى جعل المتعلم يفهم ويعرف كيفية استخدام اللغة للمشاركة في الحياة السياسية والعامة[6].

مرحلة التعليم العالي:

في المستوى العالي من السادسة عشر إلى الثامنة عشر أو العشرين عاما، يقوم الخطيب بتدريس القواعد البلاغية وتعليم إلقاء الخطب علنا وتأليفها، حيث يكون يكو ن المتعلم في هذه المرحلة مستعد لتعلم البلاغة من خلال التدريبات في الخطابة و الجدل suasoria بالاعتماد على عرض أسباب وهمية للمناقشة حيث تتعلق التدريبات بالموضوعات الأسطورية أو التاريخية، وفي نفس الوقت يتعلم أساسيات القانون المرتبط بفن الخطابة ارتباطا وثيقا، وقد كان الخطباء في الأول يعلمون البلاغة اليونانية فقط لكن بعد القرن الأول ميلادي تم تدريس الخطابة الرومانية ووجود نظامين متوازيين للتعليم البلاغي أي بين الرومانية واليونانية ، و بالنسبة للشباب الرومان الأكثر حظا، ينتهي التعليم بإقامتهم في المدارس الكبرى في ببلاد اليونان وآسيا الصغرى وهي المناطق الوحيدة القادرة على توفير تعليم عالي نظامي، لكن فيما بعد وجدت في روما وبعض المدن الإقليمية الكبرى دراسات جامعية[7].

المطلب الثاني: أماكن ممارسة النشاط التعليمي

لم يكن في العالم الروماني مساحات مخصصة للنشاط التعليمية على وجه الخصوص، اذ لم يسجل أي وجود لبناية تمثل مدرسة في أي موقع أثري روماني، اذ كانت العملية التعليمية تتم في اماكن مختلفة (في الهواء الطلق، على الارصفة، في الشارع، أو الساحات العامة تحت الاروقة المعمدة....)، لكن هذا لا يعني أن التعليم كان يمارس في أي مكان وبشكل عشوائي، وانما يكون في مكان يحدد داخل مساحة أكبر يعود الى بناية أخرى، وهذا في الجانب النظري لموضوع التعليم عند الرومان، أما ميدانيا فنجد معطيات على مستوى بعض المواقع الاثرية تشير لوجود اماكن تمثلت في قاعات مبنية بشكل منفصل عن باقي البنايات ، وأخرى لها تبعية

لبنايات أخرى، ويمكن من خلالها تخطيطها و مكوناتها المعمارية اعتبارها اماكن مخصصة للنشاط التعليمي أو مدارس ان صح التعبير، وقد تم تمييزها من خلال احتوائها على أماكن جلوس ثابتة، كما أن الجانب الكتابي المتمثل في النقيشات اللاتينية التي من خلالها نجد ذكر المدارس و أماكن التعليم و التي تم الاشارة اليها بمصطلح ludus وكذلك schola.

تعتبر الامثلة التي تشير إلى بنايات تعليمية قليلة بالمقارنة مع المساحة الشاسعة التي كانت تحت للسيطرة الرومانية خاصة خلال الفترة الإمبراطورية، ولكنها كافية لتقوية فرضية وجود أماكن على شكل مدارس خاصة بالنشاط التعليمي، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر مثال الغرفة الموجودة على مستوى الحمام الشرقي لمدينة أيفاس و التي احتوت على مدرجات مستقيمة، وهي غرفة منفصلة بشكل كلي عن باقي أجزاء الحمام ولا تحتوي على أي رابط مشترك مع ماهو معروف في مكونات الحمامات الرومانية، وهذا من بين امثلة وجود مساحات بداخل بنايات لها وظيفة لا تتعلق بالتعليم، ووجودها في مثل هذه البنايات جعل من احتمالية كونها مساحات مخصصة للجانب التعليمي أقوى، كما نجد مثال منزل الفلاسفة في aphrodisias والذي احتوى على مساحات للعامة يمكن تمييزها عن باقي الأجواء الخاصة للمنزل، ما يشير الى أن هذه المساحات كانت تستظيف جمهور يتجاوز حدود الأسرة، ويقرب الفكرة أكثر لكون هذه المساحات مخصصة لممارسة نشاط تعليمي، يمثل المنزل فيها بناية خاصة استضافت نشاط عام تمثل في التعليم.

لعل من أبرز الامثلة على البنايات التي القريبة من ان تكون مدرسة خلال الفترة الرومانية البناية الواقعة على مستوى موقع كوم الدكة بالاسكندرية، وهي البناية التي من خلالها تم بناء المقارنة بينها وبين البنايات التي سيتم التطرق إليها في منطقة نوميديا.

بناية كوم الدكة بالإسكندرية:

يقع المبنى في موقع كوم الدكة في الشمال الغربي من الحمامات ويطل على جهة الغرب المطلة على المسرح، يتكون المبنى من ثالث قاعات، القاعة الأولى مستطيلة الشكل تضم ثلاث صفوف من المقاعد على شكل حرف U، الصف الأول من مركز الحنية مقعدا رئيسيا أكثر ارتفاع و قد وجد على جدران هذه الغرفة طبقة من البالستر الأحمر وهو خليط من مسحوق الآجر وبودرة الرخام استعملت في الحمامات والمنشآت المائية ما يدل على أن هذه الغرفة لم تكن مسقوفة، أما الغرفة الوسطى فكانت نصف دائرية على شكل حرف U احتوت على أربعة صفوف مدرجة ومقعد رئيسي في مركز الحنية، أما الغرفة الثانية فقد قسمت بدورها الى جزأين بينهما

مدخل فوجد في الأولى ثلاث صفوف مقاعد والثانية لم يتبقى غير بقايا الصف الأول، وما يشير الى كونها مدرسة وربما يؤكد على ذلك هو صغر ارتفاع المقاعد بالمقارنة مع مدرجات المسارح[8] دليل على أن من استعمل المقاعد أطفال والتي كانت تتوافق مع أحجامهم.

تذكرنا بناية كوم الدكة بالحنية الموجودة في الكنيسة الشرقية لمدينة مادور، والتي اشتملت على احتمال تخص يصها احتضان نشاط تعليمي وربما لكونها جزء من مدرسة تعود لفت فترة مبكرة.

الشكل 12: بناية موقع كوم الدكة [9]

المبحث الثاني: التعليم والمنشآت التعليمية في نوميديا خلال الفترة الرومانية

عرفت نوميديا وجود نشاط تعليمي خلال الفترة الرومانية، لكن الدلائل التي تشير إلى ذلك قليلة بالمقارنة مع ما تم ذكره في التعليم الروماني بصفة عامة، فمن ناحية النظام التعليمي لا شك من وجود نفس النظام التعليمي الذي عرف به الرومان، وهناك ما يثبت ذلك في المصادر الأدبية، أما بالنسبة للمنشآت التعليمية المتمثلة في المدارس فهي اشكالية عامة لا تخص منطقة نوميديا فقط، وقد تم الاشارة الى العديد من البنايات وحول امكانية احتضانها لنشاط تعليمي، لكن لم يتم تأكيد ذلك في أي بناية تم الاشارة اليها

المطلب الأول: المنشآت التعليمية

تعتبر إشكالية غياب المدارس كهياكل تعليمية إشكالية عامة لا تخص مناطق معينة فحسب ،والتي كانت بين الإشارات الأدبية والتايخية الكثيرة التي أكدت وجودها وغياب ما يثبت ذلك أثريا، وهذا ما ينطبق على منطقة نوميديا خلال تلك الفترة، اذ نجد بعض الاشارات الأدبية في المنطقة اكدت وجود تعليم نظامي في بعض المدن النوميدية وأبرز مثال على ذلك مدينة مادور أين نجد ذكرها عند القديس أغسطين و أبوليوس، بالإضافة إلى مساحة تمثلت في حنية بأدراج من المحتمل ان تكون مساحة خصصت للنشاط التعليمي، هذا فيما يتعلق

بالحانب الأدبي وذكر المدارس في المصادر، اما على مستوى المواقع الاثرية نجد بنايتين في موقع كويكول، تم التطرق إليها في دراسات حديثة وهي بنايات مجهولة لم يتم التعرف على طبيعتها، وتأكيد وظيفتها، بالإضافة إلى إشارات لمدن أخرى لم تتوفر على اي دلائل مادية تؤكد وجود منشآت تعليمية فيها.

1-امكانية وجود مدارس في مدينة كويكول:

تمت الاشارة الى هذه البنايات في مدينة كويكول من خلال الباحثة y. Allais التي أشرفت على الحفريات في كل من الجزء الشرقي والغربي للمدينة، وقد وصفت مخطط بناية في الحي الشرقي بمحاذات المعبد السيفيري، وأخرى في الحي الغربي من المدينة وأعطت لكل منهما تسمية schola هذا ما دفعنا التطرق الى هذه البنايات ومحاولة دراستها بشكل أعمق.

1-1 البناية الواقعة في الحي الشرقي:

تقع شرق المعبد السيفيري، على الطريق المؤدي الى المسرح، اكتشفت من طرف y.allais أثناء الحفريات في ذلك الحي[10]، شكلها المعماري مربع تقريب ا قياساته ا الاجمالية) 16.10 طول×14عرض مدخلها من الجهة الشمالية، تحتوي على بهو يسبق المدخل على جانبيه غرفتي زاوية صغيرتين طولهما 3.70م وعرضه ما 3.10م يتم الوصول اليهما عب ر مداخل م ن الفناء الداخلي، والذي مساحته 14×12.80، لا يزال كل من جدارها الغربي والجنوب ي قائمين نسبيا وكذلك الشرقي بنسبة أقل أما جدار الواجهة فلم يبقى منه الا أجزاء صغيرة وحجارة موضوعة بشكل غير منتظم، اما تقنيات البناء المتبعة فقد اعتمد على التقنية التي جمعت بين التقنية دروسةالافريقية وصفوف من الآجر opus mixtum a band.

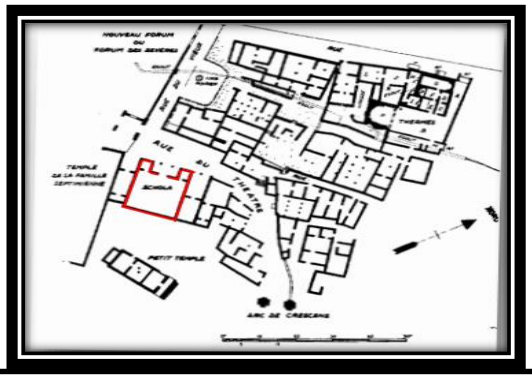

الشكل 14: الحي الشرقي لمدينة كويكول وموقع البناية المدروسة[11]

الشكل 15: البناية المدروسة في الحي الشرقي لمدينة كويكول (تصوير الباحث)

حسب المخطط المعماري للبناية، و في عدم وجود مؤشر آخر على طبيعة أو تاريخ المعلم، باستثناء "y.allais" التي أرخت بنايات هذا الحي بنهاية القرن الثاني بداية القرن الثالث الميلاد، تبقى طبيعة المعلم بين المجهول و بين اشارات الباحثة التي أعطت العديد من التخمينات، منها التذكير بإحدى مخططات البالايسترا استبعدت فكرة كونها كذلك لغياب أي واسطة لتزويد البناية بالمياه[12]، و أشارت لكونها "schola" في ضل استعمالات هذا المصطلح الذي قد يشير الى عدة معاني قد تختلف عن بعضها البعض.

1-2 لبناية الواقعة في الحي الغربي:

تقع في الحي الغربي بين الطريقين الثانويين، بغرفة مكشوفة موجهة من الشرق الى الغرب، تمتد من الشرق بالحنية التي تبلغ فتحتها 3.40م و عمقها 1.60م، المحفوظة على ارتفاع 5 م و المدعومة بدعامة من الكاردو الغربي، بنيت بالآجر و قطع من الأنقاض و قد استصلحت في الجزء العلوي بالحجارة المصقولة و تم تعزيزها بدعامة، كما احتوت على منصة خرسانية "hémicycle" ارتفاعها حوالي 0.60 م و التي من المفترض أن تكون قاعدة لتمثال، كما يظهر على الجدران الشمالية و الجنوبية بالغرفة العديد من الاصلاحات، فيما يخص الجدار الغربي يرتكز على قاعدة بكتل حجرية وغير منتظمة موضوعة على أرضية الغرفة على بعد 5.30م من الحنية، ولم يكن هذا الجدار بالتأكيد جزءا من المبنى الأصلي، و لكن لم يتم العثور على أي جدار أقدم في المكان، ينتهي المعلم في الجهة الغربية بفناء 9.40 م×6.60م بشبه دعامات مربعة تحدد من خلالها مدخل باب عرضه 1م في الزاوية الجنوبية الغربية للفناء، ومن الواضح أن هذا الترتيب يعود الى فترة أقدم.

كانت الغرفة الكبيرة في الأصل تمتد الى غاية الكاردو الصغير أي بطول اجمالي حوالي 16.60 م خضع البناء الى تغيير حيث وجد جدار سميك قام بإلغاء المداخل الى المنصة التابعة للحنية[13]، أما تقنية البناء

فقد تم الاعتماد على التقنية الافريقية "opus africanum"في بناء جدران البناية، أما الحنية فاعتمد فيها على تقنية صفوف الآجر.

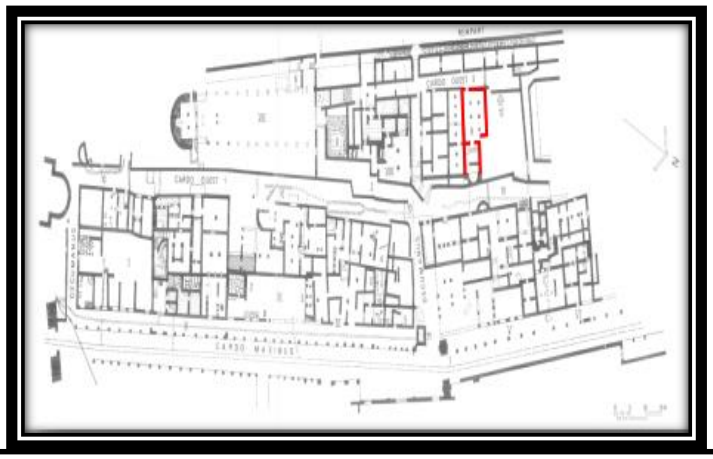

الشكل 16: مخطط الحي الغربي لمدينة كويكول مع توضيح البناية المدروسة[14]

الشكل 17: البناية المدروسة في الحي الغربي لندينة كويكول (تصوير الباحث)

تمت الاشارة الى البناية بمصطلح schola من قبل الباحثة أثناء وصفها، وهذا ما يدعوا الى توضيح المعنى الذي قد يؤديه هذا المصطلح من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وكذلك استعمالاته المجال المعماري.

2-المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح schola : (بالاعتماد على القاموس فيما يخص الجانب اللغوي، واستعمالاته من طرف الباحثين في المواقع الاثرية فيما يخص الجانب الاصطلاحي).

أشارت schola ضمن اشتقاقها في القاموس اللاتيني الى معنى مدرسة وكذلك المكان الذي تكون فيه اجراء المحادثات ت و ا لنقاشات، أ و مكان اجتماع الفيلسوف مع تلاميذه (مدرسة الفلاسفة)، وهو نفس المعنى الذي قد تؤدي اليه كلمة "ludus" التي تعني المدرسة أيضا ، و مع إضافة كلمة litterarius أصبحت بمعنى مدرسة للأطفال الصغار[15]، أي بإمكاننا القول أن مصطلح "schola " حسب ما جاء في شرحه قد يعني المكان الذي يتلقى فيه الناس تعليم على مستوى عالي و مصطلح "ludus " يكون خاص بالتعليم الأولي كما ذكرناه سابقا.

وردت اشارة للباحث A.ballu فيما يخص مكتبة تيمقاد قبل اكتشاف الأجزاء الكاملة للنقيشة التي عرفت من خلالها وحددت طبيعة البناية على أنها مكتبة ،وقد أشار لها من خلال وصف مخططها بمصطلح schola بمعنى قاعة اجتماع[16] ضما يؤكد استعمالات المصطلح الواسعة، فإذا أخذنا المعنى الذي يؤدي الى المدرسة على حسب ما جاء في الشرح اللغوي، فإننا لا نملك أي مؤشر مادي يجعلنا تعتمد المصطلح بذلك المعنى، واذا أخذناه كما ورد عند الباحث A.ballu والذي حدد مقصده من استعمال المصطلح والذي كان غرفة للاجتماع، فهذا يطرح اشكالا آخر وهو طبيعة الاجتماعات التي قد تعقد في قاعات مخصصة داخل مدن تحتوي على أكثر من مكان يمكن الاجتماع فيه سواء في المجال السياسي أو الديني أو التجاري... وكمخطط لمدرسة لا يمكن الخو ض فيه في ضل غيا ب النماذج المعمارية للمدارس الرومانية كم ا أشرنا اليه سابقا تبقى اشكالية البناية المدروسة في كل من الحي الغربي والشرقي لكويكول مفتوحة، بين التخطيط المعماري المجهول والغير متعارف عليه للمدرسة الرومانية، وبين الدلالة اللغوية لتسمية schola التي قد تؤدي الى أكثر من معنى

3-حنية كنيسة البوابة الشرقية بمدينة مادور:

تعتبر الحنية المكان الوحيد الذي قد يكون احتضن نشاطا تعليميا في فترة ما والمدرجات التي توجد على مستواها دليل على أنها استعملت كمقاعد، و بما أن الكنيسة شيدت في فترة متأخرة جدا فانه من المحتمل أنها حلت مكان المدرسة، احتفظ بضلعها النصف دائري الحامل للمقاعد، و ما يزيد من احتمال تشييدها فوق مدرسة هو الاختلاف الظاهر في التقنية المتبعة في بناء أقسامها، حيث شيدت جدرانها الجانبية بمواد بناء مختلفة بينما بنيت حنيتها بطريقة جيدة و تميزت بالصرامة المعهودة عند البنائين الرومان في الفترة الأولى[17].

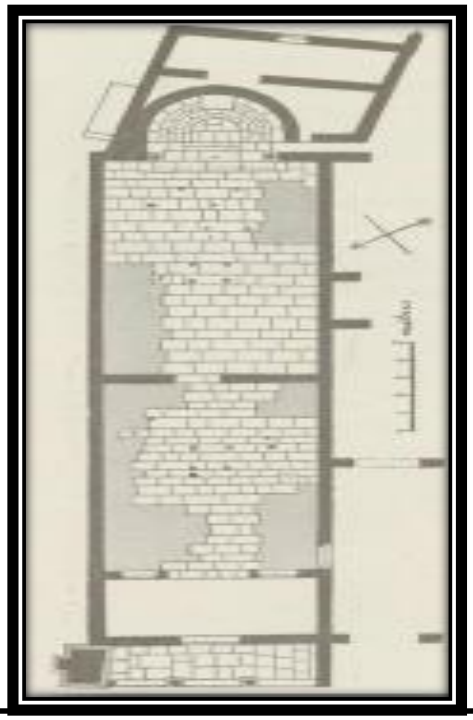

الشكل 18: مخطط الكنيسة الشرقية في مدينة مادور يوضح موقع الحنية[18]

ان الحنية أقدم من باقي أقسام الكنيسة نجدها مكونة من الداخل من خمسة صفوف من الحجر الكلسي، يتراوح ارتفاع الصفوف الأربعة الأولى ما بين 0.25 و 0.28 م، في حين كان ارتفاع الصف الخامس 0.42م[19].

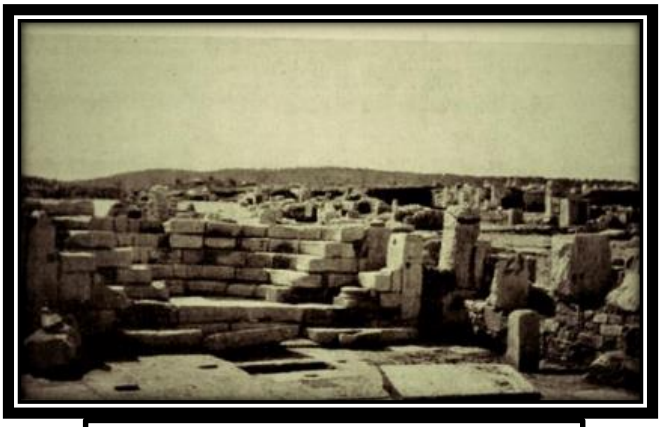

الشكل 19: حنية كنيسة البوابة الشرقية[20]

بالنظر الى الشكل العام للحنية و الادراج التي تحتويها وبشكل متناسق و منخفض ومناسب ليكون مكان جلوس اطفال صغار، و اختلاف طريقة بنائها عن باقي أجزاء الكنيسة ما يشير الى انها كانت تابعة لمبنى آخر يعود الى فترة أقدم، فمن المحتمل أن تبعيتها كانت لمدرسة بنيت في فتراة مبكرة، بالإضافة إلى الاشارات الأدبية

القوية التي نجدها من القرن الأول وعاصرها أيوليوس المادوري، الى غاية فترات متأخرة وصولا الى القديس اغسطين، كما تزيد النقيشات اللاتينية من احتمالية كون البناية منشأة تعليمية، خاصة ان تأريخها يعود لفترة متأخرة وهي نفس الفترة التي تم تأكيد وجود تعليم نظامي في المدينة من طرف القديس أغسطين.

المطلب الثالث: النقيشات الايبيغرافية

تعتبر المصادر الإبيغرافية التي تخص موضوع التعليم في نوميديا قليلة جدا، حيث وجدت عدة نقيشات في موقع مادور، معظمها غير مكتملة، و لا تدل بشكل مباشر على النشاط التعليمي.

1- نقش غير مكتمل كان الاعتقاد أنه يشير الى معلم الحساب

الشكل 13: النقش الذي احتوى على الكتابة المذكورة

النقيشة بعد استكمال أجزائها:

In isti (T) umulo Qu (i) e(scit) T.FI(avius) Ammonia(nus) quem
[21] arit(hmetica) disciple(ina)

المعنى العام للنقيشة:

نقيشة جنائزية تبدأ بعبارة "داخل القبر" ثم اسم المتوفي، ويبدو أنه مواطن روماني من أصل محلي حيث أنه يحمل كنية مأخوذة من اسم الإله آمون، و كان اختصاصه علم الحساب، و يبقى ذلك غير كافي لنفترض أنه معلم وقد يكون يمارس مهنة أخرى لها علاقة بالحساب.

2 – نقيشة جاء فيها اسم الشخص غير مكتمل، اذ لا تظهر الا كنيته ماريوس واسم ابنته ماكسيما التي أنجزته وهي كالتالي :

o pateriae dilectus .....Marius factis et nomine quonda(m) ...
men vitae septemque....amore....docens explevit civibus annos
[22]peregit....oI(i)m patriae viriitus amator

المعنى العام للنقيشة:

نقش النص على شكل تنظيم شعري و الذي لم يتبقى منه الا بعض الكلمات التي تظهر على الطاولة الجنائزية، ومن خلال محتوى النص يظهر أن الشخص المذكور معلم محترم و قد مارس أخرى المستوى المحلي

3– نقيشة لطفل توفي وهو يتلقى تعليما في المدرسة، وهي كالتالي:

...FLAVIVS VICTURIANUS NA

QVI INNOCENS PVBERTA

...IA SESDVM OBSEQVENS STVD

AMORE AEMVLANON [23]

النقيشة بعد استكمال أجزائها:

Qui non vitas casus quaeris qu[3] / Flavius Victorianus Na[3] / qui innocens pubertat[3] / dum obsequens studia sec[utus 3] / amore aemula non [3] / heu pietas non dignos [3] / qui religioso adfectu M[3] / get S[3] / nunc in pace ponerent in perpetuum sac[3] / hic corpus terra te]paren quiescenti [24]

المعنى العام للنقيشة:

هذا النقش هو الوحيد الذي يشير الى طفل كان يتلقى تعليما، يحتوي على عشر أسطر و ينتهي بعبارة NİPACE ما سهل تأريخه بالفترة المسيحية و تم الاكتفاء بالسطور الأولى التي تحمل اسم المتوفي فلافيوس فيكتوريانوس و كلمةPUBER التي تدل على صغر سنه[25].

وجد في إشارات كل من القديس أغسطين و أبوليوس ذكر لمدينة مادور كمكان احتوى على مدرسة احتضنت نشاط تعليميا نظاميا، وكان على فترات زمنية مختلفة– القرن الأول ميلادي و القرن الرابع ميلادي – كما نجد في مدينة تاغست مدرسة خاصة بالتعليم الأولي على حسب ما ورد عند القديس أغسطين، فالنسبة لمدينة مادور فقد تم وجود بعض الدلائل المادية التي تدعم ما جاء في المصادر الأدبية، أما فيما يخص مدينة تاغست فلا وجود لأي دلائل قد تدعم ما جاء عند القديس أغسطين، وهذا ما قد يزيد من احتمالية وجود هذه المدرسة في مكان غير مخصص لها كمدرسة وانها كانت تابعة لبناية أخرى

.4–مقارنة بين كل من مدرسة كوم الدكة و البنايات التي تم التطرق إليها

يمكننا اجراء مقارنة قد تساهم في إضافة رؤيا جديدة فيما يخص الجانب التعليمي في منطقة نوميديا، وذلك باعتبار مدرسة كوم الدكة الاقرب اتكون مدرسة خلال الفترة الرومانية، وهذا لما يتميز به مخططها المعماري من مكونات تقربها من ان تكون مكان خصص ليجتمع فيه أفراد صغار الحجم بالنظر الى المدرجات التي خصصت للجلوس، و كذلك المقاعد المرتفعة التي توسطت الحنيات المدرجة ، ومن المنطقي أن يكون تفسير ارتفاعها بالمقارنة مع باقي المقاعد هو انها كانت مخصصة لجلوس للمعلم، وبالمقارنة مع كل من البنايات التي تم التطرق إليها في نوميديا، سيتم استبعاد فكرة كون البنايات المتواجدة على مستوى موقع كويكول على أنها مدارس، فالبناية الواقعة على مستوى الحي الشرقي للمدينة لم يتم ايجاد أي أثر لمدرجات أو حنية بالإضافة إلى مخططها الذي كان مفتوحا وغير مقسم من الداخل، باستثناء الغرف التي كانت على زوايا المدخل و التي كانت صغيرة ولا تحتوي على أي عناصر معمارية قد تقرب فكرة اجتماع عدة أفراد فيها لاي سبب كان وليس التعليم فحسب، اما الغرفة الرئيسية من البناية فكانت فارغة ومفتوحة على المدخل ولم يُسجل تواجد أي عنصر معماري آخر بداخلها.

فيما يخص البناية الثانية على مستوى الحي الغربي من المدينة، والتي توفرت على حنية احتوت على منصة مرتفعة نسبيا تابعة لغرفة مفصولة عن الجزء الثاني من البناية، والذي كان عبارة عن فناء او مساحة مفتوحة توفرت على دعامات تؤطر مساحة الساحة و تقسمها الى ثلاثة أجزاء، و كما تطرقت الباحثة التي اشرفت على الحفريات كما ذكر سابقا فقد طرا تغيير على مستوى مخطط البناية في فترة ما وهذا يعود الى حريق قد تسبب في اتلاف بعض الأجزاء، فالمخطط الحالي للبناية لا يشير الى كونها مدرسة، وهذا لما تحتويه من عناصر معمارية لا تجعل منها بناية لمدرسة تعليمية، وبالمقارنة مع بناية كوم الدكة التي جعل منها عنصر المدرجات وطريقة توزيعها في المبنى الأقرب اتكون مدرسة خاصة بالنشاط التعليمي خلال الفترة الرومانية،فإن احتمال كون البناية الواقعة في الحي الغربي للمدينة كذلك مستبعد.

بالنسبة لحنية كنيسة البوابة الشرقية في مدينة مادور، فمن خلال ما تم التطرق إليها سابقا في النموذج التي تم بناء المقارنة من خلاله، والذي يحتوي على عنصر الادراج التي هي من أهم المعطيات التي جعلت من احتمالية كون بناية كوم الدكة مدرسة، فحنية الكنيسة بمادور قد تكون من بين اكثر البنايات المدروسة قربا لتكون مكان قد خصص لنشاط تعليمي، و ما يقوي هذه النظرية أكثر هو المصادر الأدبية التي صرح كتابها النوميد عن أنفسهم أنهم قد تلقوا تعليما فيها وبشكل نظامي، و حتى المرحلة التعليمية التي احتضنتها المدينة والتي كانت المرحلة المتوسط التي يتم فيها تعليم البلاغة، و حتى معماريا فالملاحظ اختلاف طريقة وتقنية البناء التي استعملت في الحنية بالمقارنة مع باقي أجزاء الكنيسة.

خاتمة:

إنّ موضوع التعليم ومراحله وطرق ممارسته خلال الفترة الرومانية واضح، وقد تبين أنه تميز بكونه موحد في جميع المناطق الخاضعة للسلطة الرومانية، أما المنشآت التعليمية المتمثلة في المدارس، فمن خلال مختلف المعطيات الموجودة حول الموضوع والتي تم استنتاجها من خلال الاشارات الأدبية و الآثار المادية المتوفرة، يمكننا اعتبار أن النشاط التعليمي قد تمت ممارسته في أماكن غير مخصصة له، كوجود أجزاء من بنايات عامة كالفوروم والحمامات والمعابد، أو خاصة مثل المنازل، تم تخصيص مساحات تابعة لها للتعليم، وهذا تفسير لعدم وجود آثار واضحة للمدارس في حالة ما إذا استبعدنا فكرة أن البنايات التي تم التطرق إليها عبارة عن مدارس، كما يمكن أن يكون انشاء المداراس بشكل خاص في مدن معينة، وهذا اذا اعتبرنا أنّ البنايات المذكورة عبارة عن مدارس مخصصة للتعليم، ويمكن ان يكون ذلك راجع الى العديد من الاسباب منها وجود عناصر مثقفة في بعض

المدن ما ساهمت في تخصيص اماكن للتعليم يشرف عليه هاؤلاء المثقفين، ويمكن ان يكون هذا تفسير لتواجد آثار لمدارس في مدن معينة، وغيابها في باقي المدن الرومانية، كما يمكن أن يكون المخطط العام للمدارس غير خاضع لنموذج موحد، ونحن نعرف أن الكثير من المدن الرومانية تحتوي على بنايات لم يتم تحديد طبيعتها وبقيت مجهولة.

الهوامش:

[1]أيوب إبراهيم: التاريخ الروماني ، الشركة العالمية للكتاب، ط1، لبنان، 1996، ص ص 95 ،94.

[2] محمد قنديل زايد: التربية والتعليم في الحضارة اليونانية و الرومانية، مكتبة االنجلو مصرية، ط1 ،القاهرة،2006، ص 32

[3]L'educazione https://online.scuola.zanichelli.it/verbaetimagines/verba-et-imagines/ .

[4]Fichee enseignant : l'enfant romaine a l'école https://www.pontdugard.fr/fr/document/niveau-college-lenfant-romain-lecole-fiche-enseignant.

[5]Jean MEYERS: L'ÉDUCATION ET L'ÉCOLE dans l'Empire romain et les royaumes francs ,Université Paul Valery Montpellier III,2019, p 02.

[6]Ibid,, p 02.

[7] Fichee enseignant : l'enfant romaine a l'école https://www.pontdugard.fr/fr/document/niveau-college-lenfant-romain-lecole-fiche-enseignant

[8] محمد قنديل زايد: المرجع السابق، ص 304 -307.

[9]أنظر: nocturnes du plan de Rome : l'enseignant à Rome, 4 Nov 2015 https://youtu.be/C0S67jHbBJ8

[10] Zidane Miloud : Djemila et Sétif : l'urbanisme comparé de deux villes romaines d'Afrique du nord, thèse de doctorat, université de paris-panthéon- sorbonne, 1998,p 210.

[11]Yvonne Allais : le quartier a l'est du forum des sévères, in : rev.afr volum 97, 1953,p 51.

[12] Ziden Miloudi, opcit,, p210.

[13] Yvonne Allais : Le quartier occidental de Djemila (Cuicul), in : ant.afr T 5, 1971, p 102.

[14] Ibid, fig 23.

[15] Cassel's : latin-English dictionary, pp 325-506.

[16] Albert ballu : les ruines de timgad, ernest laroux editeur, paris, 1903, p 51.

[17] إبراهيم ورحلي: مستعمرة مادوروس و اقليمها الترابي، أطروحة دكتراه، جامعة الجزائر- معهد االثار، 2010، ص ص 232، 233

[18] Stéphan gssel : khmissa mdaourouch announa,1922, fig 16, p 116

[19] ابراهيم بورحلي، المرجع السابق، ص 233

[20] stéphan gssel : op cit, fig 17, p 118.

[21]أنظر: inscription latin de l'Algérie, numéro 01/02234,madaourouch

[22]أنظر: inscription latin de l'Algérie, numéro 01/02209,madaourouch

[23] ابراهيم بورحلي، المرجع السابق، ص ص 233، 235.

[24]أنظر: inscription latin de l'Algérie, numéro 01/02769, madaourouch

[25] ابراهيم بورحلي ، المرجع السابق، ص 235.

Refernces

Bourhly A. (2010). Maduros Colony and Territory (PhD thesis). University of Algiers 2/ Institute of Archeology, Algeria.

Ibrahim A. (1996). Roman History (1st ed.). Lebanon: International Book Company.

Qandil Zayed m. (2006). Education and Education in Greek and Roman Civilization (First Edition). Cairo: Anglo-Egyptian Library
Zidene, M. (1998). Djemila et Sétif: l'urbanisme de deux villes romains d'Afrique du nord (PhD thesis). Université de Paris-panthéon-sorbonne , France.
Gsell, S. . (1922). Khmissa madaourouch announa. France: E. De boccard éditeur .
Allais, Y. (1971). Le quartier accidental de djemila (cuicul). Antiquités Africaines , 5, 95-120.
Meyers, J. (2019). L'éducation et l'école dans l'empire romain et les yayaumes francs. Université Paul Valery Montpellier 3 .
Ballu, A. (1903). Les ruines de Timgad. France: Ernest laroux éditeur .
Allais, Y. . (1953). Le quartier a l'est du forum sévéres. Revue Africaines , 97, 48-65.
Pont de gard, S. Pont de gard. Retrieved November 5, 2022, from https://www.pontdugard.fr/fr/document/niveau-college-lenfant-romain-lecole-fiche-enseignant.
Zanichelli editore , S. Zanichelli . Retrieved october 21, 2022, from https://online.scuola.zanichelli.it/verbaetimagines/verba-et-imagines/.
Fleury, P., & Madeleine, S. (2015, November4). Nocturnes du plan de rome. Retrieved January 14, 2022, from https://youtu.be/C0S67jHbBJ8
Gsell, S. . (1922). Inscriptions latines de l'Algérie (1 ط). France: Librairie ancienne honoré champion .
Marchant, J., & Charles , B. (1953). Cassell's latin dictionary. United States: Funk and wagnalls company .